قطاع التعليم في غزة ... بين الاحتلال والإبادة

أ.د/ ريهام محي الدين
، أستاذعلم النفس ، ورئيس قسم بحوث التعليم والقوى العاملة،
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

مقدمة

يعد الحقّ في التعليم من أبرز الحقوق ذات الأهمية البالغة في حياة الإنسان، والتي تكفلتها كل المعاهدات والمواثيق الدولية، حيث التزمت الدول والأطراف ذات المسؤولية المباشرة بحمايته على المستويات المحلية،والإقليمية، والدولية. أصبح الحقّ في التعليم من أولويات الأجندات السياسية المحلية والخطط الاستراتيجية للدول والمنظمات، وكذلك في الخطط العالمية لأهداف التنمية المستدامة 2030 ، نظراً لأهميته وارتباطه بالمساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية. في الحالة الفلسطينية بشكل خاص، يضع الشعب الفلسطيني الحقّ في التعليم في صدارة الأولويات، حيث توجّهت السلطة الفلسطينية إلى توجيه الموارد والجهود نحو تعزيز التعليم كوسيلة للتحرر من الاحتال وتحقيق الاستقلال. ومع ذلك، فإنّ الحقّ في التعليم يواجه تحديات كبيرة في فلسطين عامة، وفي قطاع غزة بشكل خاص، نتيجة للانتهاكات الصارخة التي يتعرض لها هذا القطاع من قبل الجيش الإسرائيلي، يعيش قطاع غزة أسوأ كارثة إنسانية بعد أن عانى من حصار دام 16 عامًا، حيث تسببت الممارسات العدائية والهجمات المتكررة في تدهور الوضع التعليمي بشكل كبير، وصولًا إلى حد الانهيار التام.

نتيجة الاستهداف المباشر والممنهج للمنظومة التعليمية بكل مكوناتها، أصبحت الخدمات التعليمية شبه معدومة على مدار أربعة أشهر من العدوان المستمر الذي قادته إسرائيل على غزة. مما أدى إلى تردي الظروف المعيشية للطلبة الفلسطينيين وأسرهم، وتفشي الأمراض المعدية بين الطلاب، ووصول الأمر إلى حد المجاعة، وفقًا لتقارير المنظمات الدولية[1].

أوضاع التعليم الفلسطيني في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية (١٩٩٤ وحتى الوقت الراهن)[٢]

*أنشئت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية عام 1994 تبعًا لاتفاقيات أوسلو للسلام ونشوء السلطة الوطنية الفلسطينية، وذلك بهدف إدارة الخدمات التعليمية للطلبة الفلسطينيين في الأرض الفلسطينية المحتلة،تولت الوزارة الفلسطينية مهمة عسيرة فإهمال إسرائيل لاحتياجات صيانة جهاز التعليم وتوسيعه على مدى أكثر من 25 عامًا قد أدى إلى نقص شديد في عدد الغرف الصفية والمدارس، وخاصة في المناطق الريفية. كما افتقرت المدارس القائمة إلى البنية التحتية الأساسية ناهيك عن الحديث عن النقص في التجهيزات التدريسية الملائمة والمختبرات. وقد أدى إغلاق المدارس بتكرار ولفترات ممتدة إلى تقويض منهجي لجودة التعليم بشكل عام.

*تمثلت إحدى الأولويات الملحة للوزارة في وضع خطة طوارئ لمنع الانهيار في جهاز التعليم وكسب الوقت إلى أن يتم العمل على تطوير الجهاز على المدى الطويل. وكان أحد أكثر التحديات أهمية بالنسبة للوزارة أن تعمل على توحيد نظامي التعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت ولاية فلسطينية واحدة بعد ما يقارب ثلاثة عقود من العمل المنفصل وعلى الرغم من استمرار السلطات العسكرية الإسرائيلية في فرض القيود على التنقل بين المنطقتين،كما واجهت الوزارة تحديًا كبيرًا آخر يتمثل في بناء المنهاج الوطني الفلسطيني الأول ووضعه موضع التنفيذ.

*في الوقت ذاته، واصلت السلطات الإسرائيلية، وبشكل منهجي، تقويض الجهود المنصبة على تطوير التعليم .

*حققت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية نجاحات يشهد لها على الرغم من العقبات التي تبدو مستعصية على الحل. ومن أبرز الإنجازات التي حققتها الوزارة في الفترة بين 2000- 2005 بناء 125 مدرسة جديدة 20 وما تلا ذلك من انخفاض في معدلات التسرب المدرسي من ٢٢,٣٪ في عام 2000 إلى ١٤,٧٪ في عام.2004

تم أيضاً تحقيق مكاسب ملموسة نحو زيادة مدى العدالة بين الجنسين. فقد التزمت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، منذ تأسيسها عام 1994 ، بمعالجة العوائق المتعلقة بالنوع الاجتماعي أمام التعليم، وخاصة التعليم الأساسي. وقد

كان التركيز على بناء المدارس في القرى والأماكن النائية بدلاً من المدن، على سبيل المثال، كفيلًا بزيادة إمكانية وصول الفتيات إلى التعليم الأساسي. فقد انخفض معدل التسرب المدرسي بين الإناث بما يقارب 10%)من ٢١,٩٪ إلى ١٢,٧٪(في الفترة بين عامي ٢٠٠٠-٢٠٠٥.

من ناحية أخرى، ارتفعت معدلات الالتحاق بالتعليم العالي، وتزايد عدد الإناث اللواتي ينلن درجات جامعية عالية، وخاصة في الجامعات الرئيسية في الضفة الغربية. كما أن عدد الإناث أصبح يفوق عدد الذكور في العديد من المؤسسات التعليمية.

من الخطوات الأخرى المهمة في معالجة التباين بين الجنسين قيام وزارة التربية والتعليم بإلغاء القرار الذي كان ساريًا في ظل السلطات العسكرية الإسرائيلية والذي كان يحرم الفتيات المتزوجات اللواتي يتركن مقاعد الدراسة لفترة من الوقت من العودة إلى المدرسة.

النظام التعليمي في فلسطين

إن نظام التعليم في فلسطين ،يشمل التعليم الأساسي الإلزامي الصفوف من الأول إلى العاشر وينقسم إلى المرحلة الإعدادية (الصفوف من الأول إلى الرابع) ومرحلة التمكين (الصفوف من الخامس إلى العاشر).يغطي الثانوي (التعليم الثانوي العام وعدد قليل من المدارس الثانوية المهنية) الصفين ١١و١٢.

مواد قانون التعليم في فلسطين[٣]

صدر قرار بقانون (٨) لسنة ٢٠١٧ بشأن التربية والتعليم العام ينص على أن :

يكون التعليم إلزاميًا في نهاية الصف العاشر.

يكون التعليم مجانيًا في كافة المؤسسات التعليمية الحكومية.

كما تشير مادة (٣) إلى ، يهدف النظام التعليمي إلى تحقيق الآتي:

١-تعزيز المكانة العلمية والاجتماعية للمعلم لدوره المتميز في بناء الانسان والمجتمع.

٢-تنمية شخصية الطالب ومواهبه وقدراته الذهنية والجسمية والتفاعل ايجابيًا مع المتغيرات المعرفية والتقنية والمعلوماتية.

٣-تهيئة الطالب ليكون عضوًا فاعلًا في بناء مجتمعه، وتنمية مهارات التحليل النقدي الموضوعي ،وتعزيز اتباع الأسلوب العلمي في العلم والبحث وحل المشكلات،والاستعداد العلمي والعملي.

٤-تنمية القيم الي الدينية والأخلاقية والسلوكيات واحترام حقوق الانسان وحرياته،والمبادىء المنصوص عليها في المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية الناظمة لحقوق الانسان ، وتعزيز القيم الايجابية.

يحظى التعليم بتقدير كبير بين الأسر في جميع أنحاء دولة فلسطين ، حيث يلتحق ٩٥,٤٪ من الأطفال بالتعليم الأساسي ، لكن معدلات الالتحاق المدهشة هذه تخفي تحديات الوصول إلى المدرسة ، حيث أن الأطفال والمراهقون ذوو الإعاقة عرضة للتسرب من المدرسة .[٤]

كما تتمتع غزة والضفة الغربية المحتلة بمستويات عالية من الإلمام بالقراءة والكتابة على المستوى الدولي ، ولكن الحصار الاسرائيلي للقطاع الساحلي الفلسطيني والجولات المتكررة من الصراع تركت التعليم هشًا وقليل الموارد.[٥]

خدمات التعليم في غزة قبل السابع من أكتوبر٢٠٢٣[٦]

تشير البيانات الرسمية حول أوضاع التعليم في غزة قبل ٧ أكتوبر إلى أن غزة كان يوجد بها ١٨٣ مدرسة تقدم الخدمة لأكثر من ٢٧٨,٠٠٠ طالب وطالبة. إن هؤلاء الأطفال ينمون في ظروف قاتمة، وغالبا ما يكونون محاطين بالفقر والعنف. إلا أن المدرسة توفر لهم أحد الأمكنة التي يستطيعون فيها تعلم المهارات من أجل مستقبل أفضل.

وقد أدت سنوات من نقص التمويل إلى إبقاء النظام التربوي في غزة يعمل فوق طاقته، حيث أن ٦٣٪ من المدارس تعمل بنظام الفترتين حيث يستضيف المبنى الواحد مدرسة وطلابها في الفترة الصباحية ومدرسة أخرى بطلاب مختلفين في الفترة المسائية (٧٪ أيضًا من المدارس تعمل بنظام الثلاث فترات)، ونتيجة لذلك، فإن تعليم الأطفال يتم اقتطاعه بشدة. وفي امتحانات العام ٢٠٠٦، رسب ما يقارب من ٨٠٪ من الطلبة في الرياضيات فيما رسب أكثر من ٤٠٪ من الطلبة في مادة اللغة العربية.

ومن أجل عكس هذا التوجه المقلق قامت منظمة (الأونروا) _ وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأوسط - بإدخال مبادرة «مدارس التميز» في غزة والتي تشتمل على:

منهاج مكرس لحقوق الإنسان.

تعزيز الاحترام والانضباط في مدارس خالية من العنف.

توفير وجبة أساسية لمساعدة الطلاب على التركيز على عملهم المدرسي وتشجيعهم على القدوم للمدرسة.

مواد مساعدة للطلبة من ذوي التحصيل المتدني ومواد إثرائية للطلبة الموهوبين.

مساعدة للطلبة المعرضين للمخاطر وضعيفي التحصيل، بما في ذلك برامج تعليم صيفي وحصص بعد المدرسة وتقييم صحي شامل.حصة إضافية في مادتي الرياضيات واللغة العربية.

توفير نظام تحت مسمى (أسابيع المرح الصيفية)، وهو برنامج نشاطات ترفيهية يوفر للأطفال الراحة التي هم بأمس الحاجة لها.

وبالنظر إلى السياق المفعم بالتحديات في غزة على وجه التحديد، قامت الأونروا بإدخال مساق معياري لحقوق الإنسان مستند إلى مواد تم تطويرها برنامج خاص بحقوق الإنسان وحل النزاعات والتسامح. ومن أجل زيادة تعزيز فعالية ذلك البرنامج وعمقه في غزة، قاموا بإدخال منهاج مكرس لحصص أسبوعية عن حقوق الإنسان للطلاب في الصفوف من الأول وحتى السادس في عام ٢٠٠٩. وتعكف الأونروا حاليا على تطوير منهاج مكرس لحقوق الإنسان للصفوف العليا.

وإلى جانب خدمات التعليم الأساسي لديهم، توفر الأونروا أيضًا فرصًا تدريبية مهنية وفنية لحوالي ١٠٠٠ طالب سنويا في مراكزها التدريبية في غزة وخان يونس، وهي تستهدف الطلاب ضعيفي التحصيل الأشد فقرا والأكثر عرضة للمخاطر، ويوفر التدريب للطلاب المساحة من أجل تطوير أنفسهم وتطوير مهاراتهم، الأمر الذي يمكن أن يساعدهم في العثور على طريقهم للخروج من الفقر الذي يعيشون فيه.

يبلغ عدد المدارس في محافظات غزة (٦٧٧) مدرسة ، منها (٥٣٠ أساسية ،١٤٧ ثانوية) ، موزعة على النحو التالي :

(٣٩٣) مدرسة حكومية منها (٢٥٨ أساسية ، ١٣٥ ثانوية) ، بنسبة (٥٨,١٪) من إجمالي عدد المدارس.

انتهاكات الإحتلال الإسرائيلي بحق التعليم الفلسطيني[٧]

قدمت منصة «توثيق استهداف وتدمير التعليم في قطاع غزة»، معلومات دقيقة ومفصّلة عن منشآت التعليم في غزة، كالجامعات والكليات والمدارس ورياض الأطفال،

وعـن تعرضهـا للاسـتهداف والتدمـير خـلال الحـرب، إضافـة إلى عرضهـا لتفاصيـل عـن شـهداء هـذا القطـاع، تحديـداً شـهداء كادر التعليـم الجامعـي.

نرصـد في هـذا القسـم مـن المنصـة، يوميـات الانتهـاكات والتدمـير التـي طالـت التعليـم ومنشـآته في قطـاع غـزة، وكذلـك أعـداد الشـهداء في المـدارس والجامعـات التـي تحولـت إلى مراكـز إيـواء. وهـذه اليوميـات مصنفـة شـهريًا منـذ بـدء حـرب الإبـادة عـلى الشـعب الفلسـطيني في قطاع غزة.

انتهاكات الاحتلال بحق التعليم

٢٠٢٥/١٠/٧ حتى ٢٠٢٥/١/١٤

المعتقلين	الجرحى	الشهداء	المعتقلين	الجرحى	الاعتداءات على الطلاب (غزة)	الاعتداءات على الطلاب (الضغة الغربية)
--------	١٩٦١٩	١٢٢٤١	٢٨٩	٥٤١	٨٨	المدارس
غير معروف	١٧٠١	٨١٣	٢٧١	١٣٠	٣٥	الجامعات
				(غزة)	(الضغة الب فغربية)	الكوادر التعليمية
المعتقلين	الجرحى	الشهداء	المعتقلين	الجرحى	الشهداء	الطلبة
غير معروف	٢٦٠٣	٥٠٣	١٥٦	١٨	٣	المدارس
غير معروف	١٢٨٣	١٥١	٩	غير معروف	----	الجامعات

			الاعتداءات على المدارس والجامعات
		(غزة)	(الضفة الغربية)
الجامعات	المدارس	الجامعات	المدارس
٢٠ مؤسسة تعليم عال تعرضت لأضرار بالغة في غزة لتدمير أكثر من ٥١ مبنى تابعًا للجلامعات بشكل كامل. تدمير ٥٧ مبنى تابعًا للجامعات بشكل جزئي.	٢١٩ مدرسة حكومية تعرضت لأضرار بالغة في غزة وتدمير أكثر من ٧٧ مدرسة حكومية بشكل كامل ٨٥ مدرسة حكومية تعرضت لقصف وتخريب. ٦٥ من مدارس وكالة غث تعرضت للقصف والتخريب.	٧ جلمعات وكليات تعرضت للاقتحامات المتكررة والتخريب والعبث بالمحتويات	١٠٩ مدرسة تعرضت للتخريب
			في غزة
			٨٨ ألف طالب /ة محرمون من الذهاب إلى جامعتهم .
			٧٠٠ ألف طالب /ة محرمون من الذهاب إلى مدارسهم.
			استهداف طلبة المدارس الافتراضية.

ملخص لأهم الانتهاكات التي حدثت لقطاع التعليم[٨]

•تكلفة الاضرار لقطاع التعليم هي 341 مليون دولار 2 حسب تقرير قيمة التقدير المؤقتة للأضرار في قطاع غزة الصادر في مارس 2024 عن البنك الدولي والأونروا والاتحاد الأوربي.

•استهداف المدارس: تعرضت61 ٪ من مباني المدارس الحكومية و44٪ من مباني مدارس الأونروا و44٪ من مباني المدارس الخاصة للاستهداف المباشر أو التضرر.

•تدمير المباني المدرسية : بلغت نسبة التدمير الكلي والجزئي للمدارس ٪ 62.9 في شمال غزة، ٢٨,٦ ٪ في غزة،١٤,٣ ٪ في الوسطى،٢٢,٩ ٪ في خانيونس، و١٧,١٪ في رفح.

•**الخسـائر البشريـة:** بلـغ عـدد الشـهداء 30,365 شـهيدا، والجرحـى 74,925 جريحـا، بمـا في ذلـك أكـثر مـن 5000طالـب و 240 معلـمًا.

•**توقـف العمليـة التعليميـة:** تـم توقيـف العمليـة التعليميـة في 563 مدرسـة، مـما حـرم قرابـة 620,000 طالبًـا مـن حقهـم في التعليـم.

•**التهجـير القـسري:** تـم تحويـل 288 مدرسـة إلى مراكـز لإيـواء النازحـين، بمـا في ذلـك 155 مدرسـة تابعـة لوكالـة الغـوث وتشـغيل اللاجئـين .

•**اسـتهداف الأكاديميـين وطلبـة الجامعـات:** قـد اسـتهدفت قـوات الاحتـال الإسرائيـلي عـددًا كبـيرًا مـن الأكاديميـين والطلبـة بالقتل، حيـث أظهـرت الإحصائيات الأولية استشـهاد 98 مـن الشـخصيات الأكاديميـة والعلمية والفكريـة في غارات إسرائيلية مبـاشرة ومتعمدة. تـم اسـتهداف منازلهـم أو المنـازل التـي نزحـوا إليها دون سـابق إنـذار، مـا أدى إلى وفاتهم ووفـاة أفـراد عائلاتهـم تحـت الأنقـاض. من بـين الضحايا كان هنـاك 3 رؤسـاء للجامعات و 94 شـخصية برتبـة البروفيسـور، وكانـوا يمثلـون مختلـف المجـالات الأكاديميـة في جامعـات غـزة. ومـن المرجـح أن هنـاك أعـدادًا أخـرى مـن الأكاديميـين المسـتهدفين مـن الصعوبـة بمـكان حصرهـم نظـرًا لصعوبـات التوثيـق نتيجـة قيـود الحركـة وانقطـاع الاتصـالات والإنترنـت ووجـود آلاف الضحايـا تحت الأنقاض. كما تشـير التقديرات الأولية إلى استشـهاد المئـات مـن طلبـة جامعـات غـزة جـراء العـدوان الإسرائيـلي المتواصـل عـلى القطـاع.

•**تدمـير المؤسسـات التعليميـة العاليـة:** توقفـت العمليـة التعليميـة في كل مؤسسـات التعليـم العـالي في قطـاع غـزة جـراء تدمـير قـوات الاحتـال الإسرائيـلي لمعظـم الجامعـات هنـاك حيـث تـم حرمـان 90,000 طالـب مـن الدراسـة. قامـت قـوات الاحتـال بقصـف جميـع أو أجـزاء مـن جامعـات غـزة ال 12 وتدميرهـا بشـكل كبـير، حيـث دمـرت ثـاث جامعـات بالكامـل وتحوّلـت الباقـي منها إلى ثكنات عسـكرية ومراكز للاعتقـال والتحقيق.

عـلى سـبيل المثـال : تـم نـشر مقطـع فيديـو يظهـر قيـام قـوات الاحتـال بتفجـير جامعة الإسراء بعـد تحويلهـا إلى ثكنـة عسـكرية، »واسـتهداف جامعـة الأقـصى بغـارات جوية.

اسـتهدف جيـش الاحتـلال في السـادس مـن فبرايـر 2024 جامعـة الأقـصى في مدينـة غـزة بغـارات جويـة، مـما ألحـق بهـا دمـارا بالغًـا، تضمـن تدمـير مبنيـين كليًّـا وخسـائر جزئيـة متفرقـة بعـد اقتحـام مقـر الجامعـة بريًّـا.

نسفت قوات الاحتلال الإسرائيلي مباني جامعة فلسطين جنوب مدينة غزة وسط القطاع والتي »

تعد صرحا علميا وتعليميا بارزا في فلسطين في منتصف كانون ثاني 2024وكان مقر جامعة الأزهر، قد تم تدميره بشكل كلي بفعل القصف الجوي لطائرات الاحتال الإسرائيلي »المتكرر حيث استهدفها مباشرة في 11 أكتوبر/تشرين الأول، و 4 و 21 نوفمبر/تشرين الثاني 2023.ص٥

في الوقت الذي تبحث فيه دول العالم عن تحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة والمتمثل في "ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع"، يفقد الطلاب في قطاع غزة في كل المراحل الدراسية حقهم في التعليم نتيجة جرائم الاحتلال وانتهاكه كل المواثيق والإعلانات الدولية التي تجرّم الهجوم على المنشآت التعليمية في أوقات النزاعات والحروب بشكل أدى إلى توقف الدراسة كليًا بعد أقل من شهر على بدء العام الدراسي، وتدمير معظم المنشآت التعليمية؛ ليصف بعض الخبراء الأمميين ما يحدث هناك بالإبادة التعليمية المتعمدة.

تشير أحدث التقارير المنشورة من قبل الأمم المتحدة والهيئات الدولية العاملة في قطاع غزة إلى أن أكثر من ٨٧٪ من مدارس قطاع غزة البالغ عددها ٥٦٣ مدرسة تضررت أو تم تدميرها منذ اندلاع الحرب في السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، حيث تم قصف ٢١٢ مبنى مدرسيًا بشكل مباشر، بالإضافة إلى تدمير ٢٨٢ مبنى مدرسيًا جزئيًا، ولم تتوقف الدراسة بسبب انتهاك القانون الدولي بقصف المدارس مباشرة فقط، ولكن أيضًا بسبب تحول ٣٢٠ من المباني المدرسية التابعة لوكالة غوث اللاجئين "أونروا" إلى ملاجئ تئوي آلاف النازحين، فلم يعد أكثر من ٥٠٣ آلاف طالب يتلقون أي نوع من التعليم، في حين أن البقية يتلقون شكلًا بدائيًا من التعليم في خيام مدينة رفح التي أُجبروا على النزوح إليها.

استمرار الحرب على قطاع غزة ، بلغت الخسائر البشرية بين صفوف الطلاب والمعلمين الفلسطينيين في غزة مستوى قياسيًا مقارنةً بحصيلة الوفيات التي خلفتها الحرب الروسية الأوكرانية على مدار عامين؛ حيث بلغ عدد وفيات الطلاب

الفلسطينيين في أول ستة أشهر أكثر من ٥٤٠٠ طفل، في حين أن عدد وفيات الأطفال الأوكرانيين بسبب الحرب على مدى عامين بلغ ٦٠٠ طفل على الأقل وفقًا لبيانات اليونيسيف، وبلغ عدد الطلاب الفلسطينيين المصابين حوالي ٨ آلاف إصابة، مما يشير إلى حجم الجرائم التي يرتكبها الاحتلال ضد الفلسطينيين دون تمييز.

ولا يقتصر حجم الدمار في قطاع التعليم الفلسطيني على المدارس وطلاب التعليم قبل الجامعي، ولكن امتد ليشمل الجامعات التي توقفت تمامًا عن العمل منذ بداية الحرب، حيث تم تدمير ٤ مبانٍ جامعية بشكل كامل، وتضررت ١٠ مبانٍ بشكل متوسط أو جزئي، لتبلغ نسبة المباني الجامعية المدمرة أكثر من ٨٢٪ من إجمالي المباني الجامعية البالغ عددها ١٧ مبنى فقط، وتتوقف الحياة الجامعية لأكثر من ٨٧ ألف شاب فلسطيني كانوا على وشك بدء حياتهم المهنية ما بعد الجامعة. وعلى الرغم من محاولة السلطة الفلسطينية إتاحة تسجيل طلاب قطاع غزة بجامعات الضفة الغربية بنظام التعليم عن بعد، إلا أن هذه المحاولة غير كافية في ظل استيعاب ألف طالب فقط تقريبًا وعدم وضوح الرؤية بالنسبة لمستقبل باقي الطلاب.

التأثير السلبي للحرب وإدانة دولة الاحتلال[١٠]

ويتجاوز التأثير السلبي للحرب تدمير البنية التحتية للتعليم ليتضمن الهدر التعليمي الذي فرضته الحرب؛ فالطلاب لم يتعلموا شيئًا طوال عام دراسي كامل وفقدوا ما تعلموه خلال السنوات السابقة بسبب طول فترة انقطاعهم عن الدراسة، بالإضافة إلى أنه من المتوقع أن ترتفع نسبة التسرب من التعليم بشكل كبير بعد انتهاء الحرب كما حدث في العراق، حيث مرت ٦ سنوات على هزيمة داعش ولم يعد الطلاب كليًا إلى مدارسهم. أما التأثير الثالث فيتمثل في التأثير النفسي للحرب على الأطفال، خاصةً الذين فقدوا عائلاتهم أو تسببت الحرب في تحويلهم إلى معاقين لما تبقى من حياتهم.

وعلى الرغم من إقامة دعوى في الجنائية الدولية ضد دولة الاحتلال وقادتها الذين قد يصدر بحقهم مذكرات اعتقال في وقت قريب بتهمة ارتكاب جرائم الإبادة والتطهير العرقي في قطاع غزة، إلا أن جيش الاحتلال خالف عددًا من

المواثيق الدولية الملزمة التي أكدت على حق الأطفال في التعليم وحمايتهم أثناء فترات النزاع مثل اتفاقيات جنيف ١٩٤٩ ونظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ١٩٩٨؛ ولعل قرار مجلس الأمن رقم ٢٦٠١ الصادر في ٢٠٢١ كان أبرز القرارات التي خالفتها دولة الاحتلال بهجومها على مدارس القطاع، حيث فرض القرار على الدول الأعضاء وضع تدابير لمنع الهجمات على المرافق التعليمية والتصدي لها.

علاوةً على ذلك، فإن دولة الاحتلال رفضت التوقيع على إعلان المدارس الآمنة لمنع الهجمات على التعليم وتخفيف أثرها على الرغم من توقيع ١١٨ دولة على الإعلان منذ ٢٠١٥، مما يشير إلى رفضها أي التزام سياسي يحد من قدرتها على توجيه أسلحتها تجاه الأطفال والمدنيين داخل المرافق التعليمية؛ وهو ما أكدته المنظمات الدولية المشاركة في التحالف العالمي لحماية التعليم من الهجمات في تقارير متابعة الأوضاع داخل أراضي قطاع غزة أثناء الحرب التي دعت سلطات الاحتلال إلى تنفيذ بنود الإعلان لضمان سلامة المدارس والجامعات في ظل استمرار النزاع، وأكدت على ضرورة محاكمة مرتكبي الجرائم ضد المرافق التعليمية وتقديم التعويض اللازم عن الهجمات.

الحق في الانتصاف والجبر.. من يعوِّض الفلسطينيين؟[١١]

يؤكد القانون الدولي على التزام الدولة بتوفير سبل انتصاف فعالة فيما يتعلق بتعويض المتضررين عن الضرر الذي تسببت فيه تلك الدولة، بما في ذلك انتهاك الحق في التعليم والحقوق الأخرى المتصلة به بشكل يترتب عليه حرمان المتضررين من فرصة الحصول على التعليم؛ وبالتالي فإن إدانة محكمة العدل الدولية لانتهاكات دولة الاحتلال فيما يتعلق بحق الفلسطينيين في التعليم يسمح لها بإصدار صيغة ملزمة لدولة الاحتلال بتعويض الفلسطينيين وإزالة آثار الانتهاكات التي ارتكبها جيش الاحتلال وإعادة الحال إلى ما كان عليه، إلا أن هذا الإلزام لا يمكن أن يصدر إلا بعد أن تتقدم السلطة الفلسطينية باحتجاج لمحكمة العدل الدولية وتطالب دولة الاحتلال بتقديم التعويض.

ولأن دولة الاحتلال لا تزال مستمرة في انتهاكاتها ضد الفلسطينيين وتجاهلها للمواثيق الدولية، فإن التزامها بتعويض الفلسطينيين وإعادة المرافق التعليمية لما

كانت عليه يُعد دربًا من دروب الخيال في ظل استمرار الدعم الأمريكي غير المحدود لتلك الانتهاكات. بالتالي، فإن السلطة الفلسطينية عليها أن تتحول لمطالبة كل الأطراف التي دعمت الهجوم على المرافق التعليمية بالتعويض الذي يعيد مدارس القطاع إلى ما كانت عليه، بما في ذلك الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وألمانيا.

علاوةً على ذلك، قد تلعب المنظمات الدولية دورًا في تعويض الفلسطينيين مثلما فعل صندوق "التعليم لا ينتظر" Education Can't Wait"، صندوق الأمم المتحدة العالمي المعني بالتعليم في حالات الطوارئ والأزمات الممتدة، حيث قدم حتى الآن حوالي ٥٠ مليون دولار لدعم الأطفال في غزة، ولكن هذا التمويل لن يكون كافيًا مقارنةً بحجم الدمار الذي شهدته المرافق التعليمية الفلسطينية طوال فترة الحرب؛ مما يفرض تكاتف المجتمع الدولي لإعادة ما يزيد على نصف مليون طالب إلى التعلم من جديد. وفي سبيل تحمل كل الأطراف مسئولياتهم تجاه الوضع الراهن، فقد يكون من المفيد أن تتبنى المجموعة العربية في مجلس الأمن مشروع قرار يلزم شركات تصنيع الأسلحة المستخدمة في الهجوم على المرافق التعليمية بتقديم التعويض اللازم لإعادة تأهيل تلك المرافق وضمان عودة الطلاب إليها من جديد.

في الأخير، قد يبدو حلم إعادة الأطفال الفلسطينيين لمدارسهم في المستقبل القريب صعبًا في ظل إصرار دولة الاحتلال على استمرار الجرائم بحق الفلسطينيين ووأد الجهود الرامية لوقف إطلاق النار في القطاع، إلا أن البحث عن سُبل استكمال الطلاب الفلسطينيين دراستهم بشكل شامل ومنصف لا بد أن يكون إحدى أولويات المجتمعين الإقليمي والدولي بمجرد التوصل لاتفاق لوقف إطلاق النار، كما يجب أن تضمن المؤسسات الدولية وضع وتنفيذ خطة استئناف الدراسة وفق جدول زمني محدد سابقًا وتقديم البدائل المناسبة في حالة استمرار الحرب مستقبلًا.

الآثار النفسية للإبادة على الطلاب والمعلمين[١٣]

أظهرت الدراسات أن هذه الأحداث تركت آثارًا نفسية عميقة، حيث كشفت دراسة للأونروا بعد العدوان على غزة إن الاستهداف المباشر وفقد الأحبة وفقدان المسكن والتهجير الجماعي غير الإنساني والصراع من أجل البقاء جميعها عوامل لها عواقب نفسية مأساوية على الطلاب والمعلمين على حد سواء، ومن شأنها أن

تفاقم من أوضاعهم المعيشية المتردية أصلا قبل أحداث السابع من أكتوبر 2023 وما تلاها من عدوان الإحتلال الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة، جعل معه الحق في التعليم معدومًا وليس محدودًا فقط.

فقد تأثر الحق الفلسطيني في التعليم تاريخيًا بفعل الحصار الخانق الممتد ل 17 عامًا وما تخلله هذا الحصار من أشكال متعددة من العدوان الإسرائيلي على القطاع والتي خلفت آثارًا نفسية عميقة لدى الطلاب. فقد كشفت دراسة أجرتها الأونروا عقب عدوان 2021 على القطاع أن ٤٢٪ من طلاب مدارس الأونروا بحاجة لدعم نفسي وأن 35 % منهم ظلوا يعانون من ردود الفعل المرتبطة بالصدمات بعد 9 أشهر من هذا العدوان، في حين ذكرت منظمة إنقاذ إن ٨٠٪ من الأطفال يعانون من إحساس دائم بالخوف والقلق والحزن بشكل يحرمهم من التعليم الآمن والكريم ومع الحرب الإسرائيلية الحالية على قطاع غزة والتي بدأت في السابع من أكتوبر 2023 فقد وصل الوضع المتردي أصلا إلى مستويات منخفضة جديدة وغير مسبوقة من المعاناة التي فاقمت من الظروف النفسية للطلاب والمعلمين وساهمت في حرمان الشعب الفلسطيني من حقه في التعليم.

وقد تعمد الاحتلال الإسرائيلي في عدوانه استهداف ركائز النظام التعليمي الفلسطيني. ولم يقتصر ذلك على الطالب فقط، إذ طال العدوان أيضًا المعلمين وأساتذة الجامعات لعرقلة دورهم المحوري في توفير التعليم الجيد للطاب. فقد بات جليًا أن الاستهداف غير المبرر للمعلمين يشكل عائقًا كبيرًا أمام جيل كامل من الطلاب للوصول إلى تعليم جيد ومنصف وشامل. ذلك أن المعلمين قد أضحوا ضحية للعدوان الإسرائيلي بطرق وحشية همشت دورهم في العملية التعليمية من خال وضعهم في دائرة المعاناة النفسية حيث عانى المعلمون من صدمات وضغوط نفسية مزمنة نتيجة استهدافهم الوحشي من الاحتلال الإسرائيلي أو تعرضهم لمشاهد العنف الإسرائيلي التي أدت إلى مقتل الأقارب والجيران والزملاء والطلاب. فقد كشفت احصائيات مركز الميزان لحقوق الإنسان سنة ٢٠١٧ ، إلى أن نحو 100 من موظفي القطاع التعليمي استشهدوا و 117 أصيبوا بجراح بالغة نتيجة حملات العدوان الاسرائيلي على غزة (٢٠٠٨، ٢٠١٢، ٢٠١٤) وحدها.

كـما أظهـرت البيانـات المتعلقـة بالعـدوان الحـالي عـلى غـزة أن(٢٦٤) مـن المعلمـين والاداريـين سـقطوا شـهداء حتـى تاريـخ ٢٠٢٤/٢/٢٠ وأن (٨٤٦) أصيبـوا بجـراح بالغـة للفـترة ذاتهـا، وأن (٩٨) مـن رؤسـاء وأسـاتذة مؤسسـات التعليـم العـالي غتالتهـم اسرائيل بشـكل مخطـط حتـى نفـس التاريـخ. والفكـرة هنـا بسـيطة؛ إذا كان الطالـب هـو مركـز العمليـة التعليميـة، فالمعلـم هـو أهـم مدخلاتهـا. ومتـى يتـم اسـتهداف المعلمـين أو اسـتهداف أحبائهـم أو إصابتهـم بجـروح، فـإن ذلـك يضعهـم تحـت سـيطرة ضغـوط نفسـية تصيبهـم بالإحبـاط وخيبـة الأمـل ويهمـش دورهـم، وبالتـالي لا يمكـن تحقيـق تعليـم جيـد للطـلاب إذا كانـت إحـدى ركائـزه مهمشـة أم منهمكـة في صراع مـن أجـل البقـاء نتيجـة الاسـتهدافية الإسرائيليـة المقصـودة.

سوء التغذية وتأثيراتها على الطلاب[١٣]

تسـلط الدراسـات والتقاريـر الصـادرة عـن منظـمات أمميـة مرموقـة مثـل اليونيسـف ومنظمـة الصحـة العالميـة واليونسـكو الضـوء عـلى العلاقـة السـلبية بـين سـوء التغذيـة والتحصيـل الأكاديمـي للطالـب في أوقـات الحـرب. فقـد أكـدت نتائجهـا أثـر سـوء التغذية في إضعـاف التطـور المعـرفي وإعاقـة قـدرات التعلـم لـدى هـؤلاء الطـلاب مـما أدى إلى انخفـاض في الأداء الأكاديمـي لديهـم. ويعـزى ذلـك إلى أن الأطفـال المعرضـون لخطـر النزاعـات المسـلحة يكونـون عرضـة لسـوء التغذيـة بسـبب تعطـل النظـم الغذائيـة، ومحدوديـة الوصـول إلى الغـذاء المتـوازن، وغـاء أسـعار الغـذاء، وكذلـك عـدم كفايـة خدمـات الرعايـة الصحيـة، وضعـف الإنفـاق عـلى البرامـج التـي تدمـج التغذيـة والتعليـم مثـل توفـير الوجبـات

والمكمـلات الغذائيـة مـن قبـل الدولـة والأسر نظـرًا لتعطـل الأنشـطة الاقتصاديـة في أوقـات الحـرب ومحدوديـة المـوارد والدخـل. وقـد أظهـرت الدراسـات أن الأطفـال الذيـن يعانـون مـن سـوء التغذيـة في المناطـق المهـددة بالنزاعـات المسـلحة غالبًـا مـا يكـون أداؤهـم ضعيفـا في الاختبـارات المعرفيـة والتقييـمات الأكاديميـة مقارنـة بأقرانهـم الذيـن يحصلـون عـلى تغذيـة جيـدة ووفقـا لمكتـب تنسـيق الشـؤون الإنسـانية ،تشـير النتائـج الأوليـة لفحوصـات سـوء التغذيـة لنحـو 3,500 طفـل فلسـطيني في قطـاع غـزة أثنـاء العـدوان الحـالي, تـتراوح أعمارهـم مـن 6 أشـهر إلى 59 شـهرًا في ثلاثـة مواقـع تـؤوي

النازحين وثاث منشآت صحية إلى زيادة كبيرة في معدل سوء التغذية الحاد, إذ بلغ معدلً سوء التغذية الحاد العام ٩,٦٪ مقارنة ب 0.8 % قبل العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، أي بزيادة تصل إلى 12 ضعفًا بالمقارنة مع معدل سوء التغذية الحاد العام المسجل قبل العدوان.

كما وصل معدل سوء التغذية الحاد العام في شمال غزة إلى مستويات غير مسبوقة إذ بلغ ١٦,٢٪ ، وهو معدل يتخطى العتبة الحرجة التي تحددها منظمة الصحة العالمية عند ١٥٪ وتفيد أحدث تقارير منظمة الصحة العالمية بتاريخ ٢٠٢٤/٣/١٢ أن (27) طفا توفوا بسبب سوء التغذية حيث 10 % الي 13 % من أطفال شمال غزة يعانون من سوء تغذية مزمن

(3 % منهم يعاني من سوء تغذية مزمن وحاد(بينما تتراوح النسبة في جنوب القطاع بين 3 % الي 6 %، ما ينذر بتفاقم مستويات سوء التغذية في قطاع غزة ما لم تحدث معالجة وتدخلات

شاملة عاجلة لتوفير ما يكفي من الخدمات الوقائية والعلاجية, مثل توفير الوجبات، وتعزيز التثقيف التغذوي،وتنفيذ برامج المكمات الغذائية، وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي.

ورغم عدم توافر بيانات تتعلق بمعدل سوء التغذية الحاد العام بين طلبة المدارس نظرا لتعطيل التعليم وإغلاق المدارس بفعل العدوان الإسرائيلي، إلا أنه من المرجح أن تنطبق المعدلات ذاتها على الأفراد الأكبر سنا سيما طلبة المدارس منهم إذ أنهم يعيشون الظروف ذاتها على المستويات كافة. وبشكل عام يتعرض الطلاب الفلسطينيون وذويهم لمخاطر متعددة العوامل والأبعاد تقود بشكل محتوم إلى سوء التغذية مثل تعطل الاقتصاد وفقدان مصدر الدخل، النقص الحاد في المواد الغذائية، والغاء الفاحش للأسعار، وتعطل النظم الغذائية، ومحدودية الوصول إلى الغذاء المتوازن، والظروف النفسية السيئة التي تلقي بظلالها على جودة الحياة الصحية للطلاب وذويهم. وكما تبين عديد الدراسات المعتبرة، فإن لسوء التغذية آثار سلبية على القدرات العقلية والتحصيل

الدراسي والأداء الأكاديمي للطلبة ما يعني انتهاكا صريحا للحق الفلسطيني في

الوصـول لتعليـم جيـد ومنصـف وشـامل ومسـتدام يسـهم في تحسـين جـودة حيـاة الأفـراد والمجتمـع في فلسـطين.

ولا شـك أن هـذا الانتهـاك الصـادم للحـق الفلسـطيني في التعليـم عـبر الاسـتهداف المبـاشر للطـلاب والمعلمـين وتدمـير المؤسسـات التعليميـة وحرمانهـم مـن حقهـم في الحيـاة والأمـن والكرامـة ليـس إلا حلقـة مـن مسلسـل مخططـات التهجـير للشـعب الفلسـطيني مـن أرضـه عـبر جعـل قطـاع غـزة مكانـا غـير قابـل للحيـاة وقتـل الأمـل في وجـدان الشـعب الفلسـطيني في حيـاة حـرة وكريمـة ومزدهـرة.

.

المراجع

١-تقرير رصد الانتهاكات الاسرائيلية بحق التعليم في قطاع غزة ، الانتهاكات بحق التعليم في فلسطين: تحليل الآثار الكارثية بحق التعليم وتحديد احتياجات التعافي الإنساني ، الائتلاف التربوي الفلسطيني ، جمعية مركز إبداع المعلم ، ٢٢ آذار ٢٠٢٤، ص٤.

٢-مركز المرأة للارشاد القانوني والاجتماعي ، أضواء على واقع النساء والفتيات الفلسطينيات في التعليم ، أول ديسمبر ٢٠٠٦، ص ص ٤- ٥ .

٣-نظام التعليم في فلسطين، قرار بقانون (٨) لسنة ٢٠١٧، بشأن التربية والتعليم العام.

٤-التعليم والطلائع في دولة فلسطين بتاريخ ٢١ نوفمبر ٢٠٢٥.

هل لايزال الأطفال يذهبون إلى المدارس في غزة ؟http://www.Unicef,org

٥-محمود سلامة ، التعليم في وقت الحرب : من يعوض أطفال غزة ،المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية ، بتاريخ ٢٠٢٤/٥/١٣.

٦- خدمات التعليم في غزة https://www.unrwa.org/ar/activity بتاريخ ١٣/فبراير/٢٠٢٤.

الأونروا ، وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى

٧-توثيق استهداف وتدمير التعليم في قطاع غزة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية

/https://gazaeducationsector.palestine-studies.org

٨-تقرير رصد الانتهاكات الاسرائيلية بحق التعليم في قطاع غزة ، الانتهاكات بحق التعليم في فلسطين: تحليل الآثار الكارثية بحق التعليم وتحديد احتياجات التعافي الإنساني ، الائتلاف التربوي الفلسطيني ، جمعية مركز إبداع المعلم ، ٢٢ آذار ٢٠٢٤،ص٥.

٩- محمود سلامة، التعليم في وقت الحرب: من يعوض أطفال غزة؟،

/https://ecss.com.eg/45667.٢٠٢٤/٥/١٦ ،بتاريخ

١٠-التأثير في قطاع التعليم، عمل اليونسكو في قطاع غزة بتاريخ ٢٠٢٤/٢/١٣.

https://www.unesco.org/ar/gaza/education

١١- مركز المرأة للارشاد القانوني والاجتماعي مرجع سابق ، ديسمبر ٢٠٠٦، ص ص ٩-١٠.

١٢- تقرير رصد الانتهاكات الاسرائيلية بحق التعليم في قطاع غزة ، الانتهاكات بحق التعليم في فلسطين: تحليل الآثار الكارثية بحق التعليم وتحديد احتياجات التعافي الإنساني ، الائتلاف التربوي الفلسطيني ، جمعية مركز إبداع المعلم ، ٢٢ آذار ٢٠٢٤،ص١٦.

١٣-المرجع السابق ،ص١٨.